القبـــائل والقراءات

الأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٢ —

تكلمت[١] فى المقال السابق عن تميم مشيراً إلى أنها كانت تسكن جزءاً من نجد .

وأذكر أنها مع القبائل التى تجاورها يشتركون فى بعض اللهجات ، وإذا ما وردت لهجة فى كتب النحو والقراءات واللغة خاصة بنجد كانت شاملة ضمنا لها . كما يغلب أن تشترك القبائل النجدية الأخرى فيما يذكر لهذه القبيلة ، لتجاورهم فى المسكن وقرب اتصالهم . وتميم شاركت أحيانا قبيلة أسد لمجاورتها لها من ناحية وشاركت بكر بن وائل من ربيعة لمجاورتها لها من ناحية أخرى وشاركت لخما المتأثرين بالفرس لمجاورتها لهم من ناحية ثالثة ، وما ذلك إلا لأن تميما منها بطون كثيرة كيربوع وطهية ودارم ومازن وحنظلة . وقد تنفرد كل قبيلة مجاورة لتميم بما يؤثر عنها من لهجات وذلك ما نراه حادثا حتى الآن فى بلدين متجاورين من اختلاف فى معانى الألفاظ أو طريقة أداء الكلمات .

وسأعرض للهجة كل قبيلة مستقصيا ذلك ما أمكن مشيراً إلى ما كان للهجتها من أثر فى القراءات أو اللغة ونحوها وصرفها وأولى اللهجات التى سأذكرها هى لهجة تميم .

١ — ما الحجازية وما التميمية :

تعمل « ما » عمل ليس فى لهجة الحجازيين فترفع الاسم وتنصب الخبر بشروطها . أما عند التميميين فلا تعمل ويكون الاسمان بعدها مرفوعين . وجاء فى القراءات على لغة الحجازيين : « وما منكم من أحد عنه حاجزين » « ما هذا بشرا » و « ماهن أمهاتهم » وقد قرأ عبد الله بن مسعود على لغة التميميين برفع بشر وقرأ المفضل عن عاصم برفع أمهاتهم على لغتهم . وقد تظرف أحد الشعراء النحاة حيث يذكر لنا أنه طلب من محبوبه الانتساب إلى قبيلته فلم يجبه بصريح القول ، وإنما ذكر له تعبيراً فهم منه القبيلة التى ينتسب إليها فقال :

ومهفهف الأعطاف قلت له انتسب ٭ فأجاب : ما قتل المحب حرام

فإجابته « ما قتل المحب حرام » أفادت أنه تميمى لأنه لم يجعل « ما » تنصب الخبر ، ولو قال : ما قتل المحب حراما ، لفهم منه أنه حجازى .

٢ — لغة تميم وكثير غيرهم عدم الفك فى المضارع المضعف المجزوم والأمر : مثل شد ولم يشد قال جرير :

قفض الطرف إنك من نمير ٭ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وفى القرآن قوله تعالى : « من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » فى قراءة القراء ما عدا نافعا وابن عامر وأبا جعفر الذين قرءوها بفك الأدغام وقوله تعالى « لا تضار والدة بولدها » فى قراءة من جعل « لا » ناهية وتضار من الضرر وهم ما عدا ابن كثير وأبا عمرو ويعقوب وابن محيصين واليزيدى الذين جعلوا « لا » نافية فرفعوا وأبا جعفر فى بعض طرقه الذى جعل تضار من ضار يضير وما عدا الحسن الذى فك الإدغام فقرأها لا تضارر . وقوله تعالى : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » بالجزم وتشديد الراء رواية أبى زيد عن المفضل عن عاصم ، أما الباقون فبالرفع أو جعلوا الفعل من ضار يضير وجزموا ، وقرأها أبى بن كعب يضركم مجزومة ، بفك الإدغام .

وقد ورد كثير فى القرآن على لهجة الحجازيين ، منه قوله تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم » « إن تمسسكم حسنة تسؤهم . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله . اشدد به أزرى . واخفض من صوتك . واحلل عقدة من لسانى ... » .

وهناك من بنى تميم من يحرك آخر الأمر فى المضعف بحركة فاء الكلمة فيقول مُدُّ بضم الدال تبعاً للميم وعضٌّ بفتح الضاد تبعاً للعين وعزٌّ بكسر الزاى تبعاً للعين . إلا أن القبائل العربية جميعها اتفقت على الإدغام فى هلم وحركت آخرها بالفتح ما عدا قبيلتى كعب وغنى فانهما حركتاه بالكسرة غاية ما فى الأمر أن الحجازيين استعملوا هلم[١] للمفرد والمثنى والجمع تذكيراً وتأنيثاً

(١) ذكر صفوان بن سالم فى المقال السابق وصحه صفوان بن عسال أما سالم فخطأ من الطبعة الوسوية لكتاب الاتقان .

(١) واستعملت هلم فى القرآن على لغة الحجازيين « قل هلم شهداءكم » و « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » .

بدون إلحاق ضمائر وبنو تميم ألحقوا بها ضمير المؤنثة والمثنى والجمع بنوعيه . كما اتفقت قبائل العرب على فك الإدغام فى صيغة التعجب التى على وزن أفعل به فيقولون أحبب بمحمد .

٣ — يجوز الإبدال عند التميميين فى الاستثناء المنقطع التام المنفى ، والمنقطع هو ألا يكون الاسم الذى بعد إلا من جنس ما قبلها ومنه قول الشاعر :

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

وقوله :

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

فالسنان مرفوع وهو بدل من خاطب ، واليعافير مرفوع وهو بدل من أنيس .

قال الزمخشرى فى قوله تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله » إنه استثناء منقطع جاء على لغة بنى تميم أما غير التميميين فيوجبون النصب فى مثل هذا الاستثناء .

٤ — بعض بنى تميم ومثلهم بنو عامر يجعلون إعراب الملحق بجمع المذكر السالم فى آخره ويلزمونه الياء وينونونه إذا كان نكرة ولا يحذفون النون فى الإضافة وذلك فيما عدا عشرين وأخواتها فإنها تعرب كجمع المذكر السالم وقد جاء عليه قول الشاعر :

دعانى من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

لكن القراءات جاءت على الأكثر : وما أدراك ما عليون الذين جعلوا القرآن عضين . عن اليمين وعن الشمال عزين . فلبث فى السجن بضع سنين .

٥ — يربوع وطهية بطنان من تميم يبنون حيث على الفتح دائماً يقولون : حيث التقينا ومن حيث التقينا بفتح الثاء فيهما وقد قرأ عبيد بن عمير الليثى « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » بفتح الثاء والمشهور فى حيث البناء على الضم وبعض القبائل تعربها .

٦ — لغة تميم ومثلهم فى ذلك قيس وأسد وربيعة كسر حرف المضارعة إذا كان الهمزة أو التاء أو النون . وقد قرأ زيد بن على ويحيى بن وثاب وعبيد بن عمير إياك نعبد بكسر النون(١) ، وقرأ يحيى بن وثاب وأبو رزين العقيلى وأبو نهيك « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » بكسر التاء فيهما ، أما بعض قبيلة كلب فإنهم يكسرون جميع أحرف المضارعة .

٧ — الإمالة لهجة تميم وعامة نجد من قيس وأسد ، وهى الإنحاء بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء لأسباب تكفلت بها كتب النحو والقراءات وأشد القبائل حرصاً على الإمالة تميم وفى الحجازيين إمالة قليلة إلا أنها فى الإنحاء بالفتحة نحو الكسرة وجميع القراء الأربعة عشر أمالوا ما عدا ابن كثير وابن محيصن المكيين . والذين أمالوا لهم شروط خاصة وقد يتفقون وقد يختلفون . والفتح يقابل الإمالة فى اصطلاح القراء . وفى القراء من تقل إمالته كابن عامر وفيهم من تكثر والمكثرون منهم من يميل إمالة صغرى كطريق الأزرق عن ورش ومنهم من يميل إمالة كبرى كحمزة والكسائى وخلف ومنهم من يكون بين الصغرى والكبرى كأبى عمرو ، فمثلا حمزة والكسائى وخلف أمالوا كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت فى القرآن فى اسم أو فعل وكل ألف تأنيث على فعلى بضم الفاء وكسرها وفتحها كطوبى والسلوى وذكرى ، وألحقوا بذلك موسى وعيسى ويحيى وكل ما كان على وزن فعالى بالضم أو الفتح كسكارى ونصارى وكل ما رسم فى المصاحف بالياء نحو بلى ومتى واستثنوا من ذلك حتى وإلى وعلى وما زكى فلم تمل بحال وأمالوا من الواوى ما كسر أوله أو ضم كالربا والضحا وأمالوا وأمال غيرهم من القراء غير ذلك مما لا يحصره بحثنا الآن .

٨ — النبر والتخفيف فى الهمز :

أحرص العرب على تحقيق الهمزة تميم . وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفا قال ابن منظور فى لسان العرب « أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون وقف عليها عيسى بن عمر فقال ما آخذ من قول تميم إلا النبر وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا » . وفى الرضى على الشافية « تخفف الهمزة قوم وهم أهل الحجاز ولا سيما قريش » هذا وبعض تميم فى الهمزة التى تكون آخر الكلمة وقبلها ساكن عند الوقوف عليها يبقون الهمزة ويتبعون العين الفاء فى الرفع والنصب والجر فالبطء بضم فسكون والردء بكسر فسكون والخبء بفتح فسكون يقولون فيها هذا البطؤ بضم الباء والطاء والردىء بكسر الراء والدال والخبأ بفتح الخاء والباء ، ومن تميم من يبقى الهمزة ويلقى حركتها إلى ما قبلها إذا كان ساكنا وذلك فى حالة الوقف فيقولون هذا البُطُو بضم الباء والطاء ورأيت البطأ بضم ففتح ومررت بالبطء بضم فكسر

(١) قرأ عبيد بن عمير وزر بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعى والأعمش « نستعين بكسر النون » .

أما الحجازيون فإنهم يحذفون الهمزة وينقلون حركتها إلى ما قبلها إذا كان ساكنا فإذا كانت آخر الكلمة حذفوا الهمزة ووقفوا على ما قبلها إذا كان ساكنا وفى حالة التنوين فى المنصوب وقبل الهمزة ساكن يقلبون التنوين ألفا لا غير ويحركون السكون قبلها يقولون رأيت بطا وردا وخبا . والتى قبلها متحرك تدبر بحركة ما قبلها فالخطأ تقلب ألفا دائما رفعا ونصبا وجرا وأكمؤ تقلب واوا دائما وأهنئ تقلب ياء دائما وقد روى أن قوما من جهينة جاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم بأسير وهو يرعد من البرد فقال لهم « ادفوه » أراد عليه السلام ادفئوه من البرد فحسبوا أنه يريد الإجهاز عليه من قولهم دفوت الجريح أدفوه دفوا إذا أجهزت عليه فذهبوا به وقتلوه فدفع الرسول صلى الله عليه وسلم ديته .

وإن اختلاف القراء فى التخفيف والنقل واسع جدا وأكثر ما يرد التخفيف من طريق القراء الحجازيين كابن كثير وابن محيصين المكيين ونافع وأبى جعفر المدنيين وأبى عمرو التميمى البصرى لأن مادة قراءته عن أهل الحجاز . ومما يلحق بهذا أن التميميين يقولون فى الأمر من سأل اسال وقد وردت كثيرا فى رواية حفص عن عاصم : فاسأل الذين يقرءون الكتاب . واسأل القرية . فاسأل بنى إسرائيل . فاسأل به خبيرا . واسألوا الله من فضله » . أما الحجازيون فيقولون فى الأمر سل ، وقد جاءت فى رواية حفص أيضا « سل بنى اسرائيل . سلهم أيهم بذلك زعيم » وبعض القراء كابن كثير ، يقرأ ما جاء فى رواية حفص بلغة الحجازيين فيحذف الهمزة وينقل حركتها إلى ما قبلها فتقلا : واسأل القرية يقرؤها وسل القرية » .

٩ — لغة تميم تسكين الوسط المتحرك تخفيفا قال السيوطى فى كتابه الإتقان(١) : قال أبو عبيدة : أهل الحجاز يفخمون الكلام كله إلا حرفا واحدا وهو عشرة إذا ركبت مع احدى واثنتين إلى التسع فإنهم يجزمونه ، وأهل نجد يتركون التفخيم فى الكلام إلا هذا الحرف فإنهم يقولون عشرة بالكسر : وقد قرأ جمهور القراء بسكون الشين وقرأ مجاهد وطلحة وعيسى بن عمر ويحيى بن وثاب وابن أبى ليلى والطوعى عن الأعمش بكسر الشين وذلك فى قوله تعالى « اثنتا عشرة عينا » . هذا وقد ورد فى القرآن كثير من الألفاظ قرئت بإسكان وسطها وتحريكه كرسلنا وخطوات ونهر ولا يمكن حصرها وحصر قرائها فى مقال ، وقال جرير على طريقة التميميين :

سيروا بنى العم والأهواز منزلكم
ونهر تيرى فما تعرفكم العرب

بإسكان الفاء من تعرفكم مع أنه لم يسبقه جازم .

ومما يلحق بهذا الإسكان ضمير الغائب والغائبة هو وهى ، فالتميميون إذا سبقه الواو(١) أو الفاء أو اللام أو ثم ، يسكنون الهاء . وهى تجرى بهم . وهو بكل شىء عليم . فهو خير لكم . فهى خاوية . لهى الحيوان . ثم هو وقد قرأ أبو عمرو والكسائى ونافع من رواية قالون والحسن واليزيدى بالإسكان وأبو جعفر فى أغلبها بالإسكان ، أما الحجازيون فإنهم يتركون الهاء على حركته بدون تسكين وهو ما جرى عليه باقى القراء .

هذا ولا يفوتنى أن أذكر أن إسكان الوسط يكون عند اجتماع ثلاث حركات وأن قبيلة أسد وبعض سكان نجد يشاركون تميما فى ذلك كما أن بعض القراء لا يسكن الحرف ولا يحركه وإنما يجرى على ما يسمونه اختلاسا وهو الإتيان بأكثر الحركة فمثلا « بارئكم » قرئت بكسر الهمزة وباسكانها وباختلاس الكسرة .

١٠ — لغة تميم فى « أنا » ضمير المتكلم إثبات ألفه وصلا ووقفا أما غيرهم فإثبات الألف وقفا وقد قرأ نافع(٢) وأبو جعفر مع أنهما مدينان باثبات الألف فى الوصل فى مثل قوله تعالى : « أنا أحيى وأميت » . أما باقى القراء فبالحذف وصلا .

١١ — « هيهات » لغة تميم فيها بناؤها على الكسرة ، وكذلك قبيلة أسد وبها قرأ أبو جعفر « هيهات » ، أما لغة الحجازيين فبناؤها على الفتح ، وبها قرأ الباقون .

١٢ — اللذان واللتان وهذان وهاتان لغة تميم فيها تشديد النون وكسرها وبها قرأ ابن كثير مع أنه مكى أما باقى القراء فبكسر النون بدون تشديد .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

(١) وقال السيوطى فى موضع آخر من كتاب الاتقان ، إن تسكين الشين لغة تميم وكسرها لغة الحجاز وفتحها لغة بلى . لكن الرواية السابقة صريحة فى أن كسر الشين من عشرة انفردت به تميم . وفى تفسير البحر ما يؤيد ذلك وفى لسان العرب ما يؤيد ذلك أيضا .

(١) والهمزة أيضا لأنها تجعل الضمير معها كلمة محركة بثلاث حركات قال الشاعر :

فقمت للطيف مرتاعا وأرقنى فقلت أهى سرت أم عادنى حلم

(٢) قرأنا نافع أيضا « إنى ليحزننى أن تذهبوا به بضم الياء وكسر الزاى ، وهى لغة تميم من أحزن ، أما باقى القراء فبفتح الياء وضم الزاى من حزن .